

القوافي
ابو يعلى التنوخي

To PDF: www.al-mostafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الاول

سميت القافية قافية لكونها في آخر البيت مأخوذة من قولك: قفوت فلاناً، إذا تبعته. وقف الرجل أثر الرجل إذا قصه. وقافية الرأس مؤخره. ومنه الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم.... ثلاث عقد، فإذا قام من الليل فتوضأ انحلت عقدة....".
والقافية من الأسماء المنقولة من العموم إلى المخصوص. فإذا أريد بها الشعر لم يقع عليها هذا الاسم حتى تقارن كلاماً موزوناً. وإذا أريد بها الاشتقاق اتسعت فيها العبارة.
مثل ذلك الصيام. وهو في الشرع محصور، وفي اللغة يعبر به من الإمساك والوقوف في كل موضع. يقال: صام النهار، إذا دومت الشمس في السماء، ثبتت وسط السماء وصام الفرس إذا قام.
قال النابغة:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتِ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللَّجْمِ

ومن ذلك الحج. هو في الشرع محصور، وفي اللغة يعبر به عن القصد إلى كل شيء. قال الشاعر:

يَحْجُونَ سِبَّ الزَّبْرَقَانِ الْمُرْعَفَا

يريد صفرة عما منه. وقال آخر:

يَحْجُ مَأْمُومَةً فِي قَعْرِهَا لَجْفٌ

وقال آخر:

فَدُونَكُمْ حَجُّوا الْعِيُونَ بِأَثْمِدٍ مَعَ الْعَانِيَاتِ الْبَيْضِ فَوْقَ الْأَرَائِكِ

ومن ذلك الإيلاء هو في الشرع أن يقسم الرجل لا يظأ زوجته أربعة أشهر فصاعداً. وهو في اللغة اليمين على كل شيء.

قال الشاعر:

وَأَكْذِبُ مَا يَكُونُ أَبُو الْمُثَنَّى إِذَا آلَى يَمِينًا بِالطَّلَاقِ

وقال آخر:

رَفَعُوا رَايَةَ الضَّرَابِ وَالْو لِيَدُونِ سَامِرِ الْمَلْحَاءِ

فصل: قال أبو بكر محمد بن دريد: سميت قوافي لأن بعضها يتلو بعضها. وهذا المعنى غير موجود في القافية الأولى، إلا أن يراد بقسميتها قافية، أنها تصلح أن تكون في موضع ما بعدها، مثل هذا الثوب مدفي، وطعام مشيع طهور، أي يصلح أن يكون منه ذلك.

وقال قوم: سميت قافية لأنها فاعلة بمعنى مفعولة، كما يقال راضية بمعنى مرضية. كان الشاعر يقفوها، أي يتبعها ويطلبها. وأصل ذلك الاتباع. قال الله تعالى: "وقفينا على آثارهم". واحتج من رأى الحكم بالعلم بقوله "ولا تقف ما ليس لك به علم" لأن فيه دليل خطاب أجاز له أن يقفو ما له به علم ويتبعه.

فصل: وقد اختلف الناس في القافية فقال بعضهم هي القصيدة بهذا البيت:

وَقَافِيَةٌ مِثْلُ حَدِّ السَّنَا نِ نَبَقَى وَيَذْهَبُ مَنْ قَالَهَا

وقال بعضهم: القافية البيت، واحتج بقول سحيم عبد بني الحسحاس:

أَشَارَتْ بِمِذْرَاهَا وَقَالَتْ لِتَرْبِيهَا عَبْدُ بَنِي الْحَسَّاسِ يُزْجِي الْقَوَافِيَا

ويقول حسان:

فَنَحْكُمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا وَنَضْرِبُ حَتَّى تُخْتَلِطُ الدَّمَاءُ

وقال قوم: القافية الكلمة الأخيرة وشيء قبلها، واحتج بأن أعرابياً سئل عن القافية في قوله:

بَنَاتٌ وَطَاءٌ عَلَى خَدِّ اللَّيْلِ

وقال سعيد بن مسعدة: القافية الكلمة الأخيرة. واحتج بأن قاتلاً لو قال لك: اجمع لي قوافي تصلح مع كتاب لأتيت له بشباب ورباب.

وقال أبو موسى الحامض: القافية ما يلزم الشاعر تكريره في كل بيت من الحروف والحركات وهذا قول جيد. ويأتي بيان ما ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وقال قطرب: القافية حرب الروى وأدخلت الهاء عليه كما أدخلت على علامة ونسابة ولأن القائل يقول قافية هذه القصيدة دال أو ميم.

أما الخليل، فله في القافية قولان. أحدهما: أنها الساكنان الآخرا من البيت وما بينهما مع حركة ما قبل الساكن الأول منهما. فعلى هذا القول تكون القافية في قول الشاعر:

إِذَا مَا أَتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لِزَلَّتِهِ عُدْرًا

تكون القافية حركة العين والذال والراء والألف. وفي قول الآخر:

وَلَيْسَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ شِيْمَةِ الْفَتَى وَلَكِنْ حُظُوظٌ قَسَمَتْ وَجُدُودٌ

حركة الدال الأولى والواو والدال والواو.
والقافية على قول الخليل الآخر ما بين الساكنين الأخيرين من البيت مع الساكن الأخير فقط.
والقوافي على هذا تنقسم خمسة أضرب:
فالأول: المتكاوس، وهو أن يجتمع أربعة حروف متحركات بعدها ساكن. كقول العجاج:

قد جبر الدين الإله فَجَبْر

وكقوله أيضاً:

هَلَّا سَأَلْتَ طَلَّلاً وَحَمَّماً

فقوله هفجبر هو القافية، وكذلك وحمما. وقيل: إن اشتقاق المتكاوس من قولك: تكاوس الشيء، إذا تراكم، فكأن الحركات لما تكاثرت فيه تراكمت. ولو قيل إنه من كاس البعير يكوس كوساً، إذا فقد إحدى قوائمه فحبا على ثلاث، لكان ذلك وجهاً، لأن الكوس أصله النقص. ذكر ذلك أبو إسحاق الزجاج، وغيره.

وقيل ذلك في الدابة لنقص قوائمها. وأنشد:

ثَلَاثٌ وَكَانَ لَهَا أَرْبَعُ

فَظَلَّتْ تَكُوسُ زَمَاناً عَلَى

وهذه القافية قد دخلها النقص لأن أصلها مستفعلن بحذف ثانيه، وطوى بحذف رابعة، فبقي متعلن، فنقل إلى فعلتن وهو المخبول. والغريزة تنفر منه. ولا يكون ذلك في شيء من ضروب العروض إلا فيما ضربه مستفعلن من البسيط. وهو الرابع من ضروبه. وجميع ضروب الرجز ما خلا الضرب الثاني منه. وأما القافية الثانية فهي المتراكب. وذلك أن يجتمع ثلاثة حروف متحركة بعدها ساكن. وهو مأخوذ من تراكب الشيء، إذا ركب بعضه بعضاً. وهو مثل قول الشاعر:

إِلَّا وَتَقْتُ بِأَنْ أَلْقَى لَهَا فَرَجاً

وَمَا نَزَلْتُ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَنزِلَةً

والضرب الثالث من القوافي يقال له المتدارك وهو أن يجتمع متحركان بعدهما ساكن مثل قول الشاعر:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَى عَنْهُ وَيُذَمُّ

كأن الحركتين تدرაკتا فيه.

والضرب الرابع المتواتر وهو حرف واحد متحرك بعده ساكن، كقول الهذلي:

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَاخِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وهو مأخوذ من الوتر وهو الفرد.

والضرب الخامس أن يجتمع في آخر البيت ساكنان ويقال له المترادف لأنه ترادف فيه ساكنان ويجوز أن يكون سمي بذلك لأنه أكثر ما يستعمل بحرف لين، وربما أتى بغير لين فيسمى مصمتاً. فالذي بحرف لين كقوله:

مَنْ عَائِدِي اللَّيْلَةَ أَمْ مَنْ نَصِيحُ بَتُّ يَهُمُّ فَفَوَّادِي قَرِيحُ

والمصمت كالمسموع يوم فتح مكة من بعض العرب وهو خامس السريع

رَقَعْتَ أَذْيَالَ الْحَقِّيِّ وَأَرْبَعْنَ مَشَى حَيَّاتٍ كَأَنَّ لَمْ يَفْزَعْ عَنْ

إِنْ يُمْنَعُ الْيَوْمَ نِسَاءً تَمْنَعُنْ

فالتقييد والردف لا زمان له. فلما عدم الردف ها هنا سمي مصمتاً.

فصل: سألت الشيخ أبا العلاء - رحمه الله - ما يسمى القصد من الرجز تجتمع فيها القافية المتكاوسة والمتراكبة والمتداركة.

وذلك لأن ضروب الرجز مستفعلن على ما تقدم إلا الثاني. فمستفعلن متدارك: وكذلك إن نقله الخبن إلى مفاعلن وبنقله الطي إلى مفتعلن فيكون متراكباً، وينقله الخبل إلى فعلتن فيكون متكافئاً. فقال: ما علمت أن أحداً قاله. ذكر هذا.

وأنا أسمى هذه القصيدة المثناة يذهب بذلك إلى ثنية. ومنه المرأة المثناة، وهي التي نكحت ثلاثة أزواج.

الباب الثاني وزن الشعر وما يلحقه

ما يلحق آخر الشطر

التقفية والتصريع

والإفعاد، والتخميع، والوقف

للقافية موضعان، أحدهما يستعمل فيه على سبيل الاستحباب، وآخر يستعمل فيه على سبيل اللزوم. فالذي يستحب فيه عروض البيت، والذي تلزم فيه ضربه، ومن ألزم نفسه النظر في هذا العلم فلا بد له من المعرفة بأحكام هذين الموضعين. فصل: فأما التقفية فأني الشاعر في عروض البيت بما يلزمه في ضربه من غير أن يرد العروض إلى صيغة الضرب مثال ذلك قول الشاعر في ثاني الطويل:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِيسِقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فالتقفية إيتاؤه في قافية النصف باللام التي هي الروي والباء هي الوصل. وهذان الحرفان هما اللذان لزماه في القافية. ومع ذلك فسلم بغير صيغة العروض، لأن العروض مفاعلن والضرب مفاعلن. ومثله قول النابغة في البسيط:

يَا دَارْمِيَّةَ بِالْعَلْبَاءِ فَالسَّنْدِ قَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ

فنصف البيت فعلن وآخره فعلن بكسر العين أيضاً، وقد التزم في النصف الدال والباء اللذين لزماه في الآخر.

فصل: وأما التصريع فهو أن يغير صيغة العروض فيجعلها مثل صيغة الضرب، ويستصحب اللوازم في الموضعين.

مثال ذلك قول الشاعر في أول الطويل:

أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحاً أَيُّهَا الظَّلَلُ البَالِيَوْهَلُ يَنْعَمَنْ مَنْ كَانَ فِي العُصْرِ الخَالِي

فقد جعل في نصف البيت مفاعيلن كآخره بسبب التصريع، ولولا ذلك لكان في نصف البيت مفاعلن مقبوضاً: ألا تراه يقول في هذه القصيدة:

وَلَوْ أَنَّي أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي، وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ

فوزن معيشة مفاعلن، وقد أتى فيها بتصريع بعد البيت الأول، فقال:

أَلَا إِنِّي بَالٍ عَلَى جَمَلٍ بَالٍ يَقُودُ بِنَا بَالٍ وَيَتَّبَعُنَا بَالٍ

فأتى في العروض بمفاعيلن. ومثله قول جرير في البسيط الثاني:

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طُوِّعَتْ مَا بَانَا وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا

فأتى بالقطع في النصف كما أتى به في الآخر، وهو أن يعود فاعلن إلى فعلن ساكنة العين.

ولولا التصريع لأتت العروضى محبونة كقوله:

يَا أُمَّ عَمْرٍو جَزَاكَ اللهُ مَغْفِرَةً رُدِّي عَلَيَّ فُوَادِي كَالَّذِي كَانَا

فقوله فرة فعلن وهذا قد استعمله القدماء والمحدثون.

التقفية والتصريع في غير البيت الأول كثير، وليس عيباً، بل هو دليل على البلاغة والاعتدال على الصنعة.

ويستحب أن يكون ذلك عند الخروج من قصة إلى قصة.

والتصريع مأخوذ من مصراعى الباب. والأصل في ذلك صرعا النهار وهما الغداة والعشي. وإنما حسن هذا

في استفتاح الشعر والقصة، لأن البيت الأول بمثلة باب القصيدة والقصة الذي يستفتح به.

فصل: وأما الإقعاد فهو يدخل في العروض من غير تقفية ولا تصريع يوهم سامع النصف الأول أن الشاعر

يأتي بالثاني موافقاً له، فيأتي به خلاف ذلك.

مثال قول النابغة:

جَزَى اللهُ عَبْسًا، عَبَسَ آلَ بَغِيضٍ جَزَاءَ الْكِلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلَ

فيظن سامع نصف هذا البيت أول وهلة أن الشاعر قد استفتح شعراً مصرعاً من ثالث الطويل ثم يأتي

المنشد بنصفه الثاني فيكون مقيد ثاني الطويل، لأن العروض في هذا البيت فعوان وذلك لا يكون في

الطويل إلا في الثالث إذا كان مصرعاً. والضرب مفاعلن، وذلك لا يكون إلا لثانيه. ومثله.

إِذَا مَا اتَّصَلْتُ قُلْتُ يَا لَ تَمِيمٍ وَأَيْنَ تَمِيمٍ مِنْ مَحَلَّةِ أَهْوَدَا

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ قَسِيْسٍ صَوَّرَوْهَا فِي جَانِبِ الْمِحْرَابِ

فهذا من الخفيف وفيه تشعيت في العروض. وهو رد فاعلاتن إلى مفعولن. وهذا لا يحسن إلا في التصريح.
ومثله من الخفيف أيضاً:

أَسَدٌ فِي اللَّقَاءِ ذُو أَشْبَالٍ وَرَبِّيعٌ إِنْ شَعَبَتْ غِبْرَاءُ
ومثله من الطويل لعامر بن جوين:

خَلِيلِي كَمْ بِالْجِزْعِ مِنْ مَلَكَاتٍ وَكَمْ بِالصَّعِيدِ مِنْ هِجَانٍ مُؤَبَّلَةٍ
ومثله:

وَمَصَابِ غَادِيَةٍ كَأَنَّ تِجَارًا نَشَرَتْ عَلَيْهِ بَزَّهَا وَرِحَالَهَا
فالنصف الأول مصرع الكامل الثامن والنصف الثاني من الكامل الأول: ومثله:

لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَى مَشْرُوبًا وَالْفَرْتَّ يُعَصِّرُ بِالْأَكْفِ أَرْنَتْ
ومثله من الكامل أيضاً قول حميد:

إِنِّي كَبَّرْتُ وَإِنَّ كُلَّ كَبِيرٍ مِمَّا يُظَنُّ بِهِ يَمَلُّ وَيَفْتَرُ
وهذا عند الخليل إقعاد، وعند أبي عبيد وأبي عبيدة إقواء.

فصل: وأما التخميع فهو أن يخلى الشاعر عروض البيت من التصريح والتقفية، ويديرج الكلام فيكون وقوفه على القافية، وقد استعمل ذلك الشعراء المجودون من القدماء والمحدثين.
قال الشنفرى:

أَقْبِمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيئِكُمْ فَأِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَا مَيْلُ
وقال متمم بن نويرة:

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَابِينِ مَالِكٍ وَلَا جَزَعًا مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعًا
وهذا كثير جداً وسمي تخميعاً مأخوذاً من الخماع الذي هو العرج، ومن ذلك قيل للضياع الخوامع.

فصل: وقد أحاز بعضهم الوقوف في نصف البيت على الحرف المشدد بالتخفيف، وإن لم يكن فيه تصريح، اقتداء بالوقوف على المشدد في القافية لأن الأنصاف تحمل ما تحتمله الأواخر، قال: وكما يجوز الابتداء في نصف البيت الأخير بالضرورة، يجوز الوقوف في نصفه عليها. ومثال هذا أن يقول القائل:

إِنَّ فِعْلَ الْخَيْرِ أَحْرَى وَأَسَدُّ وَعَلَى الْإِنْسَانِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ

وهو ضرورة قبيحة.

فأما الوقوف على الحرف المشدد إذا كان في ضرب البيت، فالصواب فيه أن يوقف عليه بالتخفيف إلا ما كان من المترادف ودخل عليه الإصمات والتقى فيه حرفان مثلاً، فإنه لو قال:

إِنْ يُحْصَنَ الْيَوْمَ نِسَاءً يُحْصَنُ

لكان الصواب الوقوف عليه بالتشديد.

وحدثني الشيخ أبو العلاء - رحمه الله تعالى - قال: وجد بخط ثعلب تشديده على الروى في قول لبيد:

يَلْمَسُ الْأَحْلَاسَ فِي مَنْزِلِهِ **بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيِّ الْمُصَلِّ**

ما يلحق آخر الشطر

وكما يلزم الناظر في علم القوافي المعرفة بأحكام الطرفين الأخيرين من مصراعي البيت، تلزمه المعرفة بأحكام الطرفين الأولين. وقد استعمل في الجزء الأول من النصفين ضروا كثيرة، ولكل منها اسم تختص به.

وذلك مستقصى في كتب العروض، وإنما نذكر هنا ما يكثر استعماله ووجوده، وما علقته به الألسن. فصل: فالخزم: يقوهم العامة أن كل نقص يوجد في أول كل بيت خرم، وليس الأمر كذلك، إنما الخزم إسقاط الحرف الأول من الجزء الأول فيما هو مبني على الأوتاد المجموعة. وذلك يكون في خمسة أوزان من العروض، الطويل والوافر والهزج والمضارع والمتقارب. مثل ذلك في الطويل:

لَا تَعْتَرِضُ فِي الْأَمْرِ تَكْفَ شُؤْنَهُ **وَلَا تَتَّصَحْنَ إِلَّا لِمَنْ هُوَ قَابِلُهُ**

وذكر ابن دريد، الخرم ومثله بقول عنتره:

وَلَقَدْ نَزَلَتْ فَلَا تَظَنِّي غَيْرَهُ **مَنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكْرَمِ**

وهذا عيب في حكم العروض يقال له الوقص، لأن متفاعله إذا أعيدت إلى مفاعله سمي الجزء موقوصاً. وقد عيب ذلك من ابن دريد لما تقدم من أن الخزم لا يكون إلا في تلك الأوزان الخمسة، وبيت عنتره من الكامل.

وقد يكون الخزم في النصف الأول وأول النصف الثاني. قال الشاعر.

خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَطْنِ بَبْرَيْنَ بَعْدَ مَا نَادَى الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمَا

قيل ولا يوجد بيت مصرع مخروم النصف الثاني إلا هذا البيت وبيت لأوس بن حجر وهو:

غَشِيَتْ دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانِ

كَالْبُرْدِ بِالْعَيْنَيْنِ يَبْتَدِرَانِ

فصل: وأما الخزم بالزاي المعجمة فهو زيادة تلحق أوائل الأبيات ولا يختص بذلك وزن دون وزن، ولا يعتد بتلك الزيادة في تقطيع العروض. فيزداد البيت حرفاً واحداً كقول طرفة:

أَتَذْكُرُونَ إِذْ نَفَاتِكُمْ

إِذْ لَا يَضُرُّ مُعْدِمًا عَدَمَهُ

وقد يجزم بحرفين، كقول طرفة أيضاً:

إِذْ أَنْتُمْ نَخْلٌ نَظِيفٌ بِهِ

فَإِذَا مَا جُرَّ نَضْطَرِمُهُ

وقد يجزم بثلاثة أحرف كقول الشاعر.

نَحْنُ جَلَبْنَا عِتَاقَ الْخَيْلِ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ قَوْسِرْنَا عَلَيْهَا لِلرَّدىِ يَوْمَ ذِي قَارِ

وربما خزموا بأربعة أحرف، ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام:

أَشَدُّ حَيَازِيْمِكَ لِلْمَوْتِ

فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيَا

وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ

إِذَا حَلَّ بِنَادِيكَ

وقال آخر:

كُنَّا رَضِينَا بِمَا كَانَتْ مَعْدُ لَنَا بِهِ

تَرَاضَتْ وَلَمْ تَرْضُوا بِهِ لِقَبِيلِ

وقد خزموا بستة أحرف، وينشد للوالي:

وَإِلَّا فَتَعَالَوْا نَجْتَلِدُ بِمُهَنْدَاتِ

نَفْضُ بِهَا الْحَوَاجِبِ وَالشُّوْنَا

وما زاد عن الحرفين في الخزم فهو شاذ، وقبحه على قدر زيادته.

وقد يجزم الأول بالنصف الثاني كالنصف الأول كقول طرفة:

إِذْ لَا يَضُرُّ مُعْدِمًا عَدَمَهُ

فقوله إذ خزم. وقال آخر - فخزم في الموضعين -

وَإِنْ تَعَدَّيْتُ طَوْرِي كُنْتُ أَوَّلَ هَالِكِيْنَ جَمَاعَتِكُمْ، وَالْمُعْتَدِي الطَّوْرِ هَالِكِ

فخزم في الموضعين أيضاً.

فصل: وقد يجوز قطع ألف الوصل في أول النصف الثاني لتمام الكلام قبله، كقول الشاعر:

وَلَا يُبَادِرُ فِي الشِّتَاءِ وَلِيْدُنَا

أَلْقَدْرُ يُنْزِلُهَا بِغَيْرِ جِعَالِ

الجعال خرقة تنزل بها القدر، وهي الجعالة أيضاً. وقال آخر:

أَلْعَيْنَ وَاللَّوْنَ وَاللَّبَّاتُ وَالْجِيدُ

هَدِي مَشَابِهٍ مِنْ مَيِّ مُصَادِقَةٍ

ورأيت في غير نسخة العنق واللون وهذا كثير شائع.

الباب الثالث لوازم القافية

الكلام في الحروف اللازمة

وهي خمسة : التأسيس، والرديف، والروي، والوصل، والخروج. والأولى أن يتبدأ بالكلام على الروي ليكون المعرفة قطباً لما يحيط به من اللوازم.

الروي

ليس عند العرب معرفة بشيء من هذه الحروف إلا بالروي وقد ذكره النابغة فقال :

يَمْرًا بِهَا الرَّوِيُّ عَلَى لِسَانِي

بِحَسْبِكَ أَنْ تَهَاضَ بِمُحْكَمَاتٍ

وهو آخر أحرف الشعر المقيد، وما قبل الوصل في الشعر المطلق. فالروي في المقيد كالراء في قوله.

لَا يَدَّعِي الْقَوْمَ أَنِّي أَفْرٌ

فَلَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ

وفي المطلق كالميم في قوله:

إِذَا طَلَبْنَا أَنْ يُدْرِكَا تَيْمَمًا

وَلَنْ يَلْبَثَ الْمَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ

وقيل إن الروي مأخوذ من الرواء الذي هو الجبل ومن روى الرجل على القوم بالرواء. قال الراجز:

وَدَقَّةٌ فِي عَظْمِ سَاقِي وَبَيْدِي

إِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ تَخَدُّدِي

أُرَوِّي عَلَى ذِي الْعُكَنِ الضَّفْنَدَدِ

ويجوز أن يكون مأخوذاً من رويت الشعر إذا حفظته من أصحابه. فيكون فعلاً بمعنى مفعول. ومن هذا قول الشاعر:

سَأْتُرْكُ عَمْرًا لَا يَقُولُ وَلَا يَرَوِي

رَوَى فِي عَمْرٍو مَا رَوَاهُ بِجَهْلِهِ

وفي الروي من التمكن ما ليس في غيره من الحروف اللازمة لأننا قد نجد تارة شعراً خالياً من التأسيس، وتارة شعراً خالياً من الرديف. ويوجد ما هو خال من لصلة والخروج. ولا يوجد شعر يخلو من الروي. فلهذا المعنى - والله أعلم - خص بالإسم المشتق من الرواية، ووقع به التمييز، فقيل لامية امرئ القيس

ودالية النابغة وميمية زهير.

فصل: وقد تكون حروف المعجم رويًا إلا حروفًا ضعفت، منها ألف التثنية في الماضي والمستقبل نحو: قاما، ولم يقوما، وكذلك فتحة ألف الواحد إذا أشبعت للترنم، وتاء التأنيث في طلحة وشجرة، والتنوين جار هذا الجرى، وكذلك الألف التي تصير في الوصل نونًا نحو لنسفًا بالناصية والتنوين الذي يصير في الوقف ألفًا، وهو هذا المقدم ذكره، وقولك: رأيت زيدًا، وكذلك الياء في قولك للمرأة: اضربي وكلي، والألف التي تبين بها الحركة نحو: أنا، وفي معنى الهاء التي يوقف عليها لتبيين الحركة نحو قولك: هد غلاميه. ومن ذلك الهاء في قولك: يا أبة، وينشد لبعض جوارى العرب تسأل سخانًا أو ما أشبهه:

حَسَنْتُ إِلَّا الرَّقِيَّةَ

يَا بَنَى وَيَا أَبَهَ

كَيْمَا يَجِيءُ الْخَطْبَةَ

فَزَيَّنْتَهَا يَا أَبَهَ

لِلْفَحْلِ فِيهَا قَبْقَبَهُ

بِإِبِلٍ مَقَرَّبَهُ

فلم تجعل الهاء رويًا، ولزمت الباء.

فأما هاء المذكر المضمرة فلها حالان: إما أن يكون ما قبلها ساكنًا أو متحركًا. وإن كان ما قبلها ساكنًا فهو روي كقوله:

وَتَ وَأَيُّقِنُ بِمَا يَنُوبُكَ مِنْهُ

أَيُّهَا الْقَلْبُ لَا تَدْعُ ذِكْرَكَ الْمَ

فَازْجُرِ الْقَلْبَ عَنْ هَوَاكَ وَدَعَّهُ

إِنَّ فِي الْمَوْتِ عِبْرَةً وَاتَّعَظْ

فجعل الهاء رويًا لا وصلًا، وأتى قبلها تارة بنون وتارة بعين.

وإن كان ما قبلها متحركًا فهي صلة، كقول بعض النساء وهي تطوف:

وَمَا مِنْهُ فَلَا أَحِلُّهُ

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كَلُّهُ

وكقول طرفة:

أَمْ رَمَادٌ دَارِسٌ حُمَمَةٌ

أَشْجَاكَ الرَّبْعُ أَمْ قَدَمُهُ

وإنما تكون هذه الهاء - إذا سكن ما قبلها - رويًا، لأن الساكن لا وصل له لوقوع السكت عليه. وإنما يكون تولد الوصل من حركة الروي، وكذلك هاء ضمير المؤنث تعتبر بما قبلها، فتكون وصلًا في قوله:

لِلْمَوْتِ كَاسٌ وَالْمَرْءُ دَائِقُهَا

مَنْ لَمْ يَمْتَ عَبْطَةً يَمْتُ هَرَمًا

وكذلك تكون وصلًا في قوله:

وَهَيَّ عَلَى الْبُعْدِ تَلْوِي خَدَّهَا

تُرْبِغُ شَدِّي وَأُرْبِغُ شَدَّهَا

وَكَلَّمَا جَدَّتْ تَرَانِي عِنْدَهَا

كَيْفَ تَرَى عَدُوَّ غَلَامٍ رَدَّهَا

قيل: سبب هذا الرجز، أن ظبية كانت ترتع في روضة فنظر إليها رجل، فقال له أعرابي: أتحب أن تكون هذه الظبية لك؟ قال: نعم قال: أفتعطيني أربعة دراهم إن جئتك بما؟ قال: نعم. فشد عليها فلم يزل وراءها حتى لحقها وجاء بما يقودها بقرتها، وهو يرتجز هذه الأبيات. وتكون هذه الهاء رويًا إذا سكن ما قبلها في مثل قوله:

أَمْوَالَنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا

وَدُورُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا

وقد أجمع على أن الواو يجوز أن تعاقب الياء هاهنا، فلو كانت الياء رويًا لما جاز تغييرها وقد ذهب إلى أنهما الروي بعض أهل العلم. والأصح ما ذكرت لك. فأما الألف التي في ضمير المؤنث نحو قولك: لها، وكلها، وعندها فلا تكون رويًا. وقد رخص بعض أهل العلم في كونها رويًا، وقد أورد أبو المنهال عيينة بن المنهال في كتاب الأمثال المنظومة أبياتًا رويها على هذه الألف منها:

وَقَدْ يُعْجِبُ الْمَرْءَ طُولُ الْبَقَا

وَلَمَّا يَزَالُ يَخُوطُ الْحَيَا

وَيَلْحَقُ أَبْنَاؤُهُ كُلَّهُم

وَيُدْرِكُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا

وسألت أبا العلاء - رحمه الله تعالى - على هذا الألف فقال: لا تكون رويًا وذكر ما أورده أبو المنهال، فقال: إنه على سبيل الشذوذ.

فأما ألف ذا فإنها تكون رويًا، لأنها منقلبة، ألا تراك تقول في التصغير ذيا. فأما التاء التي لضمير المؤنث نحو: مرت وحجت المرأة، والكاف التي للخطاب في المذكر والمؤنث، فإنهما وإن كانا في الإضمار بمتزلة هاء أكرمه وشمته فإنهما قويان، وتستعملان في الروي استعمال الميم والنون، ولا يلتفت إلى قصيدة كثير وما لزمه فيها من اللام قبل التاء، فإن ذلك غير لازم له. وإنما يستحسب للشاعر ليدل به على قوة منته.

ألا ترى إلى قول الشاعر:

وَلَوْ شَهِدْتَ أُمَّ الْقَدِيدِ طِعَانَنَا

بِمَرْعَشٍ خَيْلِ الْأَرْمَنِيِّ أَرَنْتِ

ثم قال فيها:

وَلَا حِقَّةَ الْأَبْطَالِ أَسْنَدْتُ صَفَّهَا

إِلَى صَفِّ أُخْرَى مِنْ عِدِّي فَاقْشَعَرَّتِ

وقد فعل ذلك الشنفرى وغيره من الفصحاء. على أن كثيرا قد غير منهجه في اللام فقال:

أَصَابَ الرَّدَى مَنْ كَانَ يَهْوَى لَكَ الرَّدَى وَجُنَّ اللّوَاتِي قُلْنَ: عَزَّةُ جُنَّتِ

وكذلك حكم تاء النفس تكون رويًا نحو قولك: أكلت وشربت.

وقد زعم بعضهم أن كاف الخطاب في مثل قولك: حمدك وشكرك لا تكون رويًا إلا أن تشاركها كاف أصلية، واحتج بأن هذا اللفظ لو رد إلى الغائب لتغيرت الكاف وصارت هاء، فالكاف في موضع ما لا تكون رويًا.

وأما الواو التي تكون للجميع، مثل واو فعلوا فلا تكون رويًا، وقد وردت أبيات شاذة رويها الواو مثل شقوا، وحيوا فأما إذا انفتح ما قبلها فهي روي، مثل عصوا، ورموا فإن سكن ما قبل الواو فهي روي لا غير، مثل واو دلو، وشأو، وشلو، وعضو. فأما الواو التي في الفعل، وهي من الأصل مثل واو يغزو، ويرجو فتكون رويًا. وليست بأضعف من ألف يخشى.

وأما الياء فكل مكان تحركت فيه فهي روي، وكذلك إذا سكن ما قبلها تحركت هي أو سكنت وأنشد المبرد:

فَمَا أَخْطَأَتِ الرَّمِيَّةِ

رَمِيَّتِيهِ فَأَقْصَدْتِ

أَعَارَتْكُهُمَا الظَّنِّيَّةِ

بِسَهْمَيْنِ مَلِيحَيْنِ

فأما ياء يرمي ويقضي فالأحسن أن تكون وصلًا. وكذلك ياء الإضافة، ومما استعملت فيه رويًا قوله:

إِذَا يَرُونِي مُنْكَرًا، يَرْمُونِ بِي

إِنِّي أَمْرٌ أَحْمِي ذِمَارَ إِخْوَتِي

وقال آخر:

فَلَيْسَ فِي الْحَيِّ غُلَامٌ مِلي

إِذَا تُغَدِّتُ وَطَابَتْ نَفْسِي

إِلَّا غُلَامٌ قَدْ تَغَدَّى قَبْلِي

وأما الياء الأولى من ياء فعيل فيجوز أن يكون رويًا، قال الراجز:

أَنَّ مَطَايَاكَ لِمَنْ خَيْرَ الْمَطِيِّ

أَلَمْ تَكُنْ أَقْسَمْتَ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ

وقال رؤبة:

بِسُنَّةِ اللَّهِ وَمَسْعَاهِ الْغَيْبِيِّ

إِنَّ سُلَيْمَانَ اسْتَلَانَا ابْنَ عَلِيٍّ

استلانا: دعانا وكذلك الياء المخففة في النسب كقول المرجز:

فَتَلَّتْ عَلِيَاءَ وَهِنْدَ الْجَمَلِيِّ

إِنْ تُتَكْرَرُ ابْنُ ابْنِ الْيَتْرِبِيِّ

وَإِنَّا لَصَوْحَانَ عَلَى دِينَ عَلِيٍّ

والأحسن في كل ما وقع فيه اختلاف أن يجعل وصلاً.

فصل: والهمزة تكون رويًا. وهي في ذلك بمنزلة الباء، والدال، وتعرب بوجوه الإعراب، وقد تكون رويًا في الشعر المقيد. ورأى الخليل أن تجعل ما قبلها على وجه واحد من الإعراب مثل قول ابن هرمة:

إِنَّ سَلْتَمِيَّ وَاللَّهُ يَكْلُوها
ضَنْتُ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرَزُوها

فجاء ما قبل الهمزة فتحة وألزم نفسه ذلك. والغرض فيه أن الهمزة يجتزأ عليها بالتخفيف. ويرى ذلك قوم: وربما خففت باختلاف الحركات التي قبلها فتصير دفعة واوًا، ودفعة ياء، ودفعة ألفًا. وإذا لزم الشاعر حركة واحدة، لم يدخل هذا الاختلاف. ألا تراه لو خففت همزة يكلؤها لقال يكلأها وكذلك يرزاها فعادت الهمزة في الموضعين ألفًا بالإعلال.

ولو أن مع هذه القوافي، صئصئها لجاز إلا أنه لو خفف لقال صيصيها بالياء، وكذلك لو أن معها جؤجؤها لجاز إلا أنه لو خفف قال جوجوها بالواو، واعتباراً بالحركة التي قبل الهمزة. قال سعيد بن مسعدة: قد ناقض الخليل بهذا القول نفسه، لأنه أجاز رأس مع ملس، ولو خففت هذه الهمزة لصارت هذه الهمزة ألفًا تصلح للردف. ومن مذهب الخليل أنه لا يبيز يبيز مع يسوء لئلا يخفف فيختلف فأما القضائد التي تسميها العامة معدودة، فهي مهموزة مردفة، مثل قوله:

أَذَنْتَنَا بَبِينِهَا أَسْمَاءُ

وقد يجوز للشاعر أن يبيز تارة بالروي مخففاً وتارة مشدداً، مثل عني وابني.

التأسيس

وهو مأخوذ من أسست البناء. والتأسيس ألف بينها وبين الروي حرف يكون بعدها وقبله، ويسمى الدخيل تعاقبه جميع الحروف، وذلك كقول النابغة:

كَلِينِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ
وَلَيْلٍ أَفَاسِيهِ بَطِيئِ الْكَوَاكِبِ

ألف ناصب تأسيس والصاد دخيل، وكذلك ألف الكواكب تأسيس والكاف التي قبل الباء دخيل والباء روي، فإن كان بين هذه الألف وبين الروي حرفان أو أكثر فليست تأسيساً مثل عقابيل وحيازيم. ولا يخلو حال ألف التأسيس من أحد أمرين، إما أن تكون هي والروي من كلمة واحدة، أو تكون من كلمة والروي من كلمة، فإن كانت هي والروي من كلمة واحدة فهي تأسيس لا غير، كقول النابغة:

دَعَاكَ الْهُوَى وَاسْتَجْهَلْتِكَ الْمَنَازِلُوكَيْفَ تَصَابِي الْمَرءِ وَالشَّيْبُ شَامِلٌ

فإن كانت من كلمة والرووي من أخرى، فلا يخلو إما أن يكون من التي فيها الرووي ضمير أو لا ضمير فيها. فإن كان فيها ضمير فلا يخلو إما أن يكون ذلك الضمير حرفاً متصلاً بحرف خفض أو غير متصل. فإن لم يكن متصلاً بحرف خفض كالكاف في الخطاب المذكر والمؤنث مثل قوله:

أَتَشْفِيكَ نَيْيَا أُمُّ تَرَكْتَ بَدَائِكَ وَكَانَتْ قَتُولًا لِرَجَالِ كَذَالِكََا

وكقول طرفة:

قَفِي قَبْلَ وَشَكِ الْبَيْنِ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ وَعُوجِي عَلَيْنَا مِنْ صُدُورِ جَمَالِكَ

فالألف ها هنا تأسيس.

فإن كان الضمير متصلاً بحرف خفض، كقول سحيم عبد بني الحسحاس:

أَلَا نَادِي فِي آثَارِهِنَّ الْغَوَانِيَا سُقَيْنَ سِمَامَا مَا لَهْنٌ وَمَالِيَا

فهي تأسيس أيضاً. وقد قيل إنها ليست ألف تأسيس.

وقال ابن جني: إن الألف في قول الشاعر:

أُمَّهُ جَارَاتِكَ تَلِكُ الْمُوصِيَه قَائِلَةٌ لَا يَسْقِينُ بِحَبْلِيَه
لَوْ كُنْتُ حَبَلًا لَوْصَلْتُهَا بِيَه أَوْ قَاصِرًا وَصَلْتُهُ بِثَوْبِيَه

ليست ألف تأسيس.

والأشبه أن تكون ألف وماليا، ومايا تأسيساً. فأما الألف في قوله وصلتها به فإنها أبعد في الجراز من ذلك. لأن الهاء أقوى من الألف. لا تحتل الحركة والهاء تحتلها.

فإن كان الضمير غير متصل بحرف خفض وهو منفصل، فليست الألف تأسيساً. وينشد لحسان:

إِذَا مَا تَرَعَرَ عَ فِينَا الْغُلَامُ فَمَا أَنْ يُقَالَ لَهُ مَنْ هُوَه

إِذَا لَمْ يَسُدْ قَبْلَ شَدِّ الْإِزَارِ فَذَلِكَ فِينَا الَّذِي لَا هُوَه

وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْصَبَانِ فَطُورًا أَقُولُ وَطُورًا هُوَه

فلم يجعل الألف في قوله لا هوه تأسيساً. ولا بأس أن يجعل ماهايا تأسيساً. وقد استعمل ذلك. قال الشاعر:

إِذَا زُرْتُ أَرْضًا بَعْدَ طُولِ اجْتِنَابِهَا فَقَدْتُ صَدِيقِي وَالْبِلَادُ كَمَا هِيَا

والقصيدة مؤسسة، ومن لم يجعلها تأسيساً، أجاز معها معطياً ومولياً فإن كانت الكلمة التي قبلها الروي لا ضمير فيها، فلا تأسيس هناك. قال الشاعر:

وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أَدْعَى لَهَا
هَذَا لَعْمَرُكُمْ الصَّغَارُ بَعَيْنِهِ
وَإِذَا يُحَاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ
لَا أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَلِكَ وَلَا أَبُ

وقال عنترة:

الشَّاتِمِي عَرِضِي وَلَمْ أَشْتُمُهُمَا
قال العجاج:
وَالنَّادِرِينَ إِذَا لَمْ أَلْفَهُمَا دَمِي

فَهُنْ يَعْكُفُنْ بِهِ إِذَا حَجَا
وقال آخر:
عَكَفَ النَّبِيطُ يَلْعَبُونَ الْفَنَزَجَا

وَطَالَمَا وَطَالَمَا وَطَالَمَا
سَقَى بِكَفِّ خَالِدٍ وَأَطْمَعَا

فصل: وقد أتى البحترى بالتأسيس في القصيدة المجردة. ومعنى التجريد عدم التأسيس والردف وهي:

لِلَّهِ عَهْدٌ سُوَيْقَةٌ مَا أَنْضَرَا

فقال :

لَمْ تُدْعَ ذَا السَّيْفَيْنِ إِلَّا نَجْدَتَيْكَ أَوْجَبَتْ لَكَ أَنْ تَقْلَدَ آخَرَا

وأرى أن هذه اللفظة أعني آخر يسهل على الغريزة إشراكها في قوافي التجريد من وجهين: أن التأسيس أكثر ما ورد بكسر الدخيل. وقد يوجد مضموماً. فأما الدخيل المفتوح فقليل جداً. فلما كانت الخاء مفتوحة كانت خالية من التأسيس. والوجه الآخر: أن هذه الألف التي هي التأسيس في آخر كانت في الأصل همزة، وإنما صارت مسددة لعله. فكأن الحس من الغريزة يقع بتلك الهمزة الأصلية. وقد أتى امرؤ القيس بمثل ذلك فقال :

إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيئُهُ
كَذَلِكَ حَظِّي مَا أُصَاحِبُ صَاحِبًا
وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بُدِّلْتُ آخَرَا
مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا

وقد أتى أبو عبادة مرفوضاً بالإجماع فأسس مع الانفصال وعدم الضمير في قوله:

لَا يُلْحِقَنَّ إِلَى الْإِسَاءَةِ أُخْتَهَا
وَأَرْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى السَّمَاةِ مُفْضِلًا
شَرُّ الْإِسَاءَةِ أَنْ تُسِيءَ مَعَاوِدَا
شَرُّوِي أَبِي الصَّقْرِ الَّذِي مَدَّتْ لَهُ
إِنَّ فِي الْقَوْمِ لِلْأَعْلَى يَدَا
شَيَّانٌ فِي الْحَسَنَاتِ أَبْعَدَهَا مَدَى

وَيَسِّرْتَنِي أَنْ لَيْسَ يُلْزَمُ شَيْمَةً مِنْ مَعْشَرٍ مَنْ لَيْسَ يُكْرَمُ مَوْلِدًا
وهو قبيح جداً.

الردف

وهو مأخوذ من ردف الراكب لأن الروي أصل فهو الراكب، وهذا كردفه. وهو يكون من أحد ثلاثة أحرف: الواو، والألف، والياء. وقد تكون الواو ردفاً مع ضم ما قبلها وفتحها، وكذلك الياء مع كسر ما قبلها وفتحها. والياء التي قبلها كسرة تسمى الحزم المرسل، والتي قبلها فتحة تسمى الحزم المنبسط. وكذلك هو في الواو، إذا انضم ما قبلها أو انفتح. ويقال أيضاً لما انفتح ما قبله من الياءات والواوات الثواني. فأما الألف فلا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً ولا تكون إلا ردفاً محضاً. والردف ما كان الروي بعده بغير حاجز في المطلق والمقيد. فالذي ردفه واو قبلها ضمة قول الشاعر:

تَحَدَّرَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ

فَلَسْتُ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلَأِكِ

والذي ردفه واو قبلها فتحة قول الراجز:

كَمَا تَهَادَى الْفَتَيَاتُ الزَّوْرُ

وَمَشِيهُنَّ بِالْخَيْبِ مَوْرُ

وكقول الشاعر:

سَأَلْتُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيئُهُ

وكقول:

فَإِنَّكَ تَدْرِي أَنَّ غَايَتَكَ الْمَوْتُ

لَنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ مَيِّتٌ

وكقول بعض المحدثين وينسب إلى بعض ملوك الهند:

عَلَيْهِمَا أَبْدًا مِنْ خَشِيَةِ الْفَوْتِ

تِنْتَانٍ مِنْ هِمَّتِي لَا يَنْقُضِي أَسْفِي

وَلَا حَمِيَّتُ الْوَرَى مِنْ صَوْلَةِ الْمَوْتِ

لَمْ أَحِبُّ مِنْتَجِعَ الدُّنْيَا بِجُمَلَتِهَا

والذي ردفه ألف كقول امرئ القيس:

قَلِيلُ الْهُمُومِ مَا يَبِيْتُ بِأَوْجَالِ

وَهَلْ يَنْعَمَنَّ إِلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ

سئل بعضهم عن معنى هذا البيت فقال: هو كما يقال: عاش من لا عقل له.

والذي ردفه ياء مكسور ما قبلها قول الشاعر:

وَكَايِنَ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ

وما كان ردفه ياء مفتوح ما قبلها فقولته:

وَصُعْلُوكِ قَوْمٍ مَاتَ وَهُوَ حَمِيدٌ

بَنَاتٌ وَطَاءٌ عَلَيَّ خَدَّ اللَّيْلِ

لَا يُشْتَكِينَ عَمَلًا مَا أَنْفَيْنَ

وأصحاب الشافعي ينشدون أبياتاً على هذا المنهاج يستدلون بها على أن الطلاق في غير الأزواج من طريق اللغة. ولا شك أنها لبعض المحدثين وهي:

خُذْهَا إِلَيْكَ فَإِنَّ وَدَّكَ طَالِقٌ

مَنِّي وَلَيْسَ طَلَاقَ ذَاتِ الْبَيْنِ

فَإِنَّ ارْعَوَيْتَ فَإِنَّهَا تَطْلِيْقَةٌ

وَيَدُومُ وَدَّكَ لِي عَلَيَّ ثِنْتَيْنِ

وَإِنَّ التَّوَيْتَ شَفَعَتْهَا بِمِثَالِهَا

فَيَكُونُ تَطْلِقَيْنِ فِي ظَهْرَيْنِ

وَإِذَا الثَّلَاثُ أَتَتْكَ مَنِّي بِنَّةٌ

لَمْ تُغْنِ عَنْكَ وَلَايَةُ السَّرِيِّنِ

وذكر سيويه أن فتح ما قبل الواو والياء لا يجوز. وقد استعملت الشعراء ذلك.

ومما ورد بالفتح أيضاً قول الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا أَخْرَى إِذَا مَا سَبَّيْتِنِي

إِذَا لَمْ نَقْلُ بَطْلًا عَلَيَّ وَمَيْنَا

وَلَكِنَّمَا يَخْرَى امْرُؤٌ تَكَلَّمَ اسْتَهْ

قَنَا قَوْمِهِ إِذَا الرِّمَاحُ هَوَيْنَا

وقد ذكر ما ذهب إليه سيويه أبو بكر الخزاز العروضي.

فأما الواو والياء فتعاقبان إذا كانتا ردفين في القصيدة الواحدة، فتكون الواو ردفاً في بيت والياء في آخر. فيأتي الواو المضموم ما قبلها مع الياء المكسور ما قبلها؛ الواو المفتوح ما قبلها مع الياء المفتوح ما قبلها. ولو سلمت القصيدة على شيء واحد، لكان أحسن، لا سيما إن كانت القافية منفذة.

الصلة ، وتسمى الوصل أيضاً

وهي حرف يكون بعد الروي متصل به. ويكون أحد أربعة أحرف: الواو، والألف، والياء، والهاء. وقد تكون الهاء في الوصل أربع حالات، ضم وفتح وكسر وسكون ولا يكون غيرها إلا ساكناً. وقد يقع في الوصل اشتراك في معنى الحرف، والحرف بحاله فيشارك الواو التي للترنم؛ الواو التي تلحق فعل الجميع؛ وتشارك الألف التي للترنم، التي للثنوية؛ والألف التي هي أصلية. وتشارك الياء التي للترنم؛ الياء الأصلية. وتشارك الياء التي للضمير الهاء الأصلية. فالواو التي للترنم كقول الفطامي:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْدَ حَاجَتَهُ

وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعَجِلِ الزَّلَلُ

والواو التي لفعل الجميع مثل قوله في هذه القصيدة:

فَلَا هُمْ صَالِحُوا مَنْ يَبْتَغِي عَنِّي وَلَا هُمْ كَدَرُوا الْخَيْرَ الَّذِي فَعَلُوا

وذلك جائر لا محالة.

وأما الألف التي للترنم فكقوله:

وَمَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِمَاعًا

ويجوز أن يشار كها ألف مراعى وتداعى وكقول العجاج:

فَمَنْ يَعْكُفُنْ بِهِ إِذَا حَجَا عَكَفَ النَّبِيطِ يَلْعَبُونَ الْفَنَزَجَا

وأما الياء التي للترنم، فكقوله:

وَلَوْ أَنَّي أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ

وقد أتى في هذه القصيدة ما هو من الأصل كقوله:

أَلَا أَنْعِمُ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِيُوهُلُ يَنْعَمُنْ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي

ويجوز أن تجئ الياء المخففة من الهمزة وصلًا. فيجئ المالى: من ملاء يملأ مع الأحوال، والظامي: من الظمأ مع الإكرام.

قال أبو الفتح بن جني، - رحمه الله تعالى - في تفسير قول المتنبي:

كَلَّمَا رُمْتُ لَوْنَهُ مَنَعَ النَّا ظِرَّ مَوْجٍ كَأَنَّهُ مِنْكَ هَازِي

أن أصل هازي: هازئ فأبدل الهمزة على حد التخفيف القياسي وجعلها وصلًا بمثلة الياء التابعة بعد الزاي في الإحراز في اللفظ.

وليس هذا بقياس لأنه لو خففها تخفيف القياس لكانت الهمزة مقدره. ولو كانت مقدره فكأنها ملفوظ بها. وإذا كانت كذلك لم يجوز أن تكون وصلًا إطلاقاً.

وسألت الشيخ أبا العلاء - رحمه الله تعالى - عما ذكره ابن جني فقال: هذا تسعف لا يحتاج إليه. ويلزم أبا الفتح في هذا أن يجعل الهمزة في ذئب، ورأس، وبؤس إذا خففت كأنها موجود في اللفظ؛ فلا يجعلها تدخل مع الأرداف. لأجل أنها مقدره. والسماع من العرب وغيرهم مختلف لذلك؛ كقول الجميع الأسدي:

أَمَّا إِذَا حَرَدَتْ حَرْدِي فَمُجْرِيَةٌ ضَبْطَاءُ تَمْنَعُ غِيلاً غَيْرَ مَقْرُوبِ

وقال في الأبيات:

وَأِنْ يَكُنْ حَادِثٌ يُخْشَى فَذُو عَلَقٍ
تَظَلُّ تَزَجْرُهُ مِنْ خَشْيَةِ الذَّيْبِ

فيلزم أبا الفتح أن يجعل الياء في الذيب لا يجوز أن تكون ردفاً، وكذلك الواو في قول الأَفوه:

إِنَّ بَنِي أَوْدٍ هُمْ مَا هُمْ
لِلْحَرْبِ أَوْ لِلجَدْبِ، عَامَ الشُّمُوسِ
يَقُونَ فِي الحَجْرَةِ جِيرَانَهُمْ
بِالمَالِ وَالأنْفُسِ مِنْ كُلِّ بُوسٍ

فالواو في بوس مخففة من الهمزة، وقد صارت ردفاً مع الواو التي في البيت الأول.
وكذلك قول الآخر:

يَقُولِي الأَمِيرُ بِغَيْرِ جُرْمٍ
تَقَدَّمَ حِينَ جَدَّ بِنَا المِرَاسِ
فَمَالِي إِنْ أَطُنْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ
وَمَالِي غَيْرَ هَذَا الرِّاسِ رَاسٍ

فألف راس مخففة من الهمزة. وهي ردف مع ألف المراس. وإذا كانت الأحرف الضعيفة ثابتة في موضع، فلا بأس أن يجيء في مكانها ما هو أقوى منها.
ومثل ذلك قول طرفة:

لِخَوْلَةٍ أَطَّلَ بِبُرْقَةٍ نَهْمَدِ

فالياء في نهمد مجتلية للترنم. وقال في القصيدة:

سَتَعَلَّمُ إِنْ مِتْنَا غَدًا أَيُّنَا الصَّدِي

فالياء في الصدي أصلية، وهي وصل لا يجوز غير ذلك. وكذلك الهاء التي للإضمار تكون وصلاً، ثم يجيء معها الهاء الأصلية. إلى ها هنا كلام أبي العلاء.
وقد تشارك الياء التي للترنم الياء التي للنفس كقول امرئ القيس:

.....حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مَحْمَلِي

وكقوله:

وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المَوْتَلَّ أَمَّنَالِي

وأما الهاء المضمومة فكقوله:

وَبَلَدٍ عَامِيَةٍ أَعْمَاؤُهُ

والهاء المفتوحة كقوله:

وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطَّلِعَ بَعْضِهِمَعَلَى سِرِّ بَعْضٍ، غَيْرَ أَنِّي جُمَاعُهَا

وأما المكسورة فكقول بعض نساء العرب:

وَأَرَمَ بِسَهْمَيْنِ عَلَى فُؤَادِهِ

يَا رَبِّ مَنْ عَادَى أَبِي فَعَادِهِ

وَأَجْعَلَ حِمَامَ نَفْسِهِ فِي زَادِهِ

وأما الهاء الساكنة فقوله:

أَوْ أَبَهُ وَسَبَّ مَنْ جَاءَ مَعَهُ

لَمَّا أَتَاهُ خَاطِبًا فِي أَرْبَعَةٍ

أو أبه: من الإبته؛ وهي الحياء.

وكقوله:

أَلَمَّتْ وَنَازِلٌ فِي الْوَعَى مَنْ يُنَازِلُهُ

وَلَا تَخْذُلِ الْمَوْلَى إِذَا مَا مُلِمَّةٌ

وقد تشترك الهاء الأصلية وهاء الضمير في الوصل بشرط لزوم ما قبلها؛ كقول امرأة تهجو زوجها:

يُطْرَقُ كَلْبُ الْحَيِّ مِنْ حِدَارِهَا

ضُرَيْرَةٌ أُولِعْتُ بِإِسْتِنْهَارِهَا

أُعْطِيتُ فِيهَا طَائِعًا أَوْ كَارِهَا

فَاصِلَةُ الْحَقَّوَيْنِ مِنْ إِزَارِهَا

وَفَرَسًا أَنْثَى وَعَبْدًا فَارِهَا

حَدِيقَةٌ غَلْبَاءُ فِي حِدَارِهَا

ويروى ضورية أولعت منسوبة إلى ضورة من عترة. هذا قول أبي العلاء.

وقال النامي: ضورة موضع.

ومما جاءت فيه الهاء الأصلية وصلًا قوله:

أَبْلَغُ أَبَا عَمْرٍ وَأَجْبَحَةُ الْخُطُوبِ لَهَا تَشَابُهُ

إِنِّي أَنَا اللَّيْثُ الَّذِي يُخْشَى مَخَالِبُهُ وَنَابُهُ

الخروج

والخروج حرف متولد من هاء الصلة المتحركة، فإن كانت حركتها ضمة كان الخروج واوا، وإن كانت

فتحة كان الخروج ألفا؛ وإن كانت كسرة كان الخروج ياء.

والخروج لازم لا يجوز تغييره؛ فيجب تسليمه في جميع القصيدة على ما ابتداه في البيت الأول؛ كما قال

ليبد:

بِمَنْى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمَقَامُهَا

فسلمها على الفتحة إلى آخرها. ولا تعلم أنه ورد غير ذلك فإن استعمل فهو أقبح من الإقواء.

الحركات اللازمة

وهي ست: الرس، والإشباع، والجرى، والحدو؛ والتوجيه، والنفاد.

الرس

فالرس حركة ما قبل ألف التأسيس، مثل حركة الصاد في قوله:

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى وَلَا زَجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ

فحركة الصاد رس، والألف تأسيس، والنون دخيل، والعين روي، والواو وصل، وكأن الرس: القلة والخفاء، ومنه رسيس الهوى أي بقيته. فكأن حركة ما قبل الألف حس خفي. ومنه قول علقمة ابن عبدة:

رَسُّ كَرَسٍ أَخِي الْحُمِيِّ إِذَا غَبَرَتْ يَوْمًا تَأْوَبَهُ مِنْهَا عَقَابِلُ

وكان أبو عمر الجرمي لا يعتد بهذه الحركة في اللوازم، لأن ما قبل الألف لا بد أن يكون مفتوحاً. والأمر على ما ذكر، إلا أنه يلزمه في الدخيل ألا يعتد بالحركة، لأنه لا يكون إلا متحركاً بإحدى ثلاث الحركات، فإن قيل: الحركات تختلف، قيل فلنزم أن نفرد لكل حركة من حركات الدخيل اسماً إذا انفردت بالقصيدة.

ويلزمه أيضاً ألا يعتد بالجهل فيما ردفة بالألف، لأنه لا يكون قبلها إلا فتحة.

الإشباع

الإشباع حركة الدخيل أية حركة كانت، مثل كسرة الهاء في قول زهير:

وَإِذْ أَنْتَ لَمْ تَقْصِرْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنْزِيَّ أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

وكضمة الياء في قول النابغة:

سُجُودًا لَهْ غَسَّانُ يَرْجُونَ فَضْلَهُ وَتُرْكُ وَرَهْطُ الْأَعْجَمِينَ وَكَابِلُ

وكفتحة اللام في قول الشاعر:

إِذَا كُنْتَ ذَا ثَرَوَةٍ مِنْ غِنَى فَأَنْتَ الْمُسَوَّدُ فِي الْعَالَمِ

وهذه الحركات تتعاقب، إلا أن الكسرة مع الضمة أخف كراهة من الفتحة مع إحداهما وإذا اختلفت حركات الإشباع سمى ذلك سناداً. ويأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وقيل: هذه الحركات إشباع من قولك: أشبعت الثوب. إذا أحكمته وقويته، ولا يمتنع أن يكون مأخوذاً

من أن هذه الحركة لا يمكن فيها من الحذف ما يمكن في حركة الروي، وهاء الوصل اللتين بعدها، لأنهما قد تحذفان تارة وتثبتان أخرى، ولا يمكن في حركة الدخيل الحذف، بل يأتي أبداً مشبعاً بالحركة.

المجرى

والمجرى حركة الروي مثل حركة الميم في قول زهير:

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصَبِّئُ مَنَّهُ وَمَنْ تُخَطِي يُعَمَّرُ فِيهِمْ

فالميم روي، وحركتها بالكسر مجرى، والياء وصل. وكذلك حاله في الرفع والنصب. وقيل لها مجرى لأن الروي يجري فيها.

الحدو

والحدو حركة ما قبل الرفع واوا كان أو ألفاً أو ياءً. فإن كان الرفع واواً، فالحدو ضمة وإن كان الرفع ألفاً، فالحدو فتحة. وإن كان ياء فالحدو كسرة وقد يجيء قبل الواو والياء فتحة. فالذي حدوه فتحة وردفه ألف مثل قوله:

أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِيُوهُلُ يَنْعَمَنْ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي

فتحة الخاء حدو، والألف ردف، واللام روي، وحركتها مجرى، والياء وصل وما كان حدوة ضمة فقول زهير:

تُخَبِّرُكَ الْوُجُوهُ عَنِ الْقُلُوبِ

مَنْ تَكَ فِي صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ

وما كان حدوه كسرة فقوله:

خَيْرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبٌ

فَإِنْ تَسَأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي

وأما ما كان ردفه واواً مفتوحاً ما قبلها فكقوله:

سَأَلْتُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ

يَا أَيُّهَا الرَّكَبُ الْمُزْجِي مَطِيئَتُهُ

وما كان ردفه ياءً مفتوحاً ما قبلها فكقوله:

وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلٌ

ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ

وكقول الراجز:

أَكْبَرُ قَدْ غَالَنِي أُمُّ بَيْتٍ

مَالِي إِذْ أَجْذَبَهَا صَابَتْ

وسمي الحدو حدواً من قولك: حدوت فلاناً، إذا جلست بجذائه: فكأنه محاذ للردف.

التوجيه

والتوجيه له موضعان: المقيد والمطلق وهو حركة ما قبل الروي. فهو في المقيد مثل حركة الفاء في قوله:

لَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ لَا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفْرُ

فكسرة الفاء توجيه، وكفتحة الطاء في قول سويد بن أبي كاهل:

رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غِيظًا كَبِدَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْع

وقد تجتمع ثلاث الحركات في التوجيه سواء كان الشعر مطلقاً أو مقيداً وتسلميه أحسن، لا سيما في المقيد. قال امرؤ القيس:

لَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ لَا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفْرُ

تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ وَأَشْيَاعُهَا وَكَنْدَةُ حَوْلِي جَمِيعاً صَبْرُ

إِذَا رَكِبُوا الْخَيْلَ وَاسْتَلْنَمُوا تَحَرَّقَتْ الْأَرْضُ وَالْيَوْمُ قُرُ

والتوجيه في المطلق كحركة اللام في قول الشاعر، وهو زهير:

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَمْ يَأُورُوا لِمَنْ تَرَكَوْا وَرَوَدُوكَ اسْتِيقَاً أَيَّةً سَلَكَوْا

ففتحة اللام في سلكو توجيه. وقد تجيء معها الضمة والكسرة.

قال زهير في هذه القصيدة:

مُقَوَّرَةٌ تَنْبَارِي لَا سُورَ لَهَا إِلَّا الْقَطُوعُ عَلَى الْأَكْوَارِ وَالْوُرُكُ

وقال فيها أيضاً:

يَا حَارٍ لَا أُرْمِينَ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ لَمْ يَلْقَهَا سُوقَةٌ قَبْلِي وَلَا مَلِكُ

ولا يتأتى التوجيه في المترادف.

ولم يذكر أصحاب القوافي المتقدمون من أي شيء أخذ التوجيه. وذكر بعض المتأخرين أنه مأخوذ من

توجيه الفرس. وهو دون الصدف الذي هو تباعد ما بين الفخذين في تدان من العرقويين في ميل من

الرسغين، فيكون أصل ذلك الاختلاف.

النفاد

والنفاذ حركة هاء الوصل بالضم والفتح أو الكسر، لأن الهاء كانت في الأصل ساكنة فنفذت فيها الحركة.

فالنفاذ بالضم كقوله:

وَبَلَدٍ عَامِيَةٍ أَعْمَاؤُهُ

وقوله:

فَتَى جَمِيلٌ حَسَنٌ شَبَابُهُ

والنفاذ بالفتح كقول بشر بن أبي خازم:

وَعَيَّرَهَا مَا غَيَّرَ النَّاسَ قَبْلَهَا
فَبَاتَتْ وَحَاجَاتُ الْفُؤَادِ تُصَيَّبُهَا

والنفاذ بالكسر كقوله:

إِنَّ الشَّرَّكَ قَدْ مِنْ أَدِيمِهِ

الميم وري وحركة الدال حذو والياء ردف وحركة الميم مجرى والهاء وصل وحركتها نفاذ.

الباب الرابع عدد القوافي

القوافي على ضربين: مقيد ومطلق.

فالمقيد ينقسم ثلاثة أضرب وسبب التقيد تمام الوزن.

ضرب مؤسس كقول الشاعر:

نَهْنِه دُعُوعَكَ، إِنَّ مَنْ
يَبْكِي عَلَى الْحَدَثَانِ عَاجِزٌ

فتحة العين رس، والألف تأسيس، والجيم دخيل، وكسرتها توجيه، والزاي روي.

وضرب مردف كقول طرفة:

مَنْ عَائِدِي اللَّيْلَةِ أَمْ مَنْ نَصِيحٌ
بِتُّ بِهِمْ، فَفُؤَادِي قَرِيحٌ

حركة الزي حذو، والياء ردف، والحاء روي.

وضرب مجرد - ومعنى التجريد أنه خال من التأسيس والردف - وهو كقول لبيد:

إِنَّ نَفْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفَلٌ
وَيَاذَنْ لِلَّهِ رَبَّتُّ وَعَجَلٌ

فتحة الجيم توجيه واللام روي.

وأما المطلق فإنه على ستة أضرب: ضرب مؤسس موصول كقوله:

كَلْبِنِي لِهَمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ

وَلَيْلِ أَفَاسِيهِ بَطِيئِ الْكَوَاكِبِ

فتحة الواو رس، والألف تأسيس، والكاف دخيل، وحركتها إشباع، والياء روي وحركتها مجرى، والياء وصل.

وضرب مؤسس له خروج. ولذلك يكون وصلة هاء هو كقوله:

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ

فِي بَعْضِ غِرَاتِهِ يُوَأْفِقُهَا

فتحة الواو رس، والألف تأسيس، والفاء دخيل وحركتها إشباع والقاف روي، وحركتها مجرى والهاء وصل وحركتها نفاذ، والألف خروج.

وهذه اللوازم أكثر ما تجتمع في القافية من الحروف والحركات. وهي ثمانية على قول من يعتد بالرس، وسبعة على قول من يلغيه.

وضرب مردف موصول، كقول تأبط شراً:

يَا عَبْدُ مَالِكٍ مِنْ شَوْقٍ وَإِبْرَاقِ

وَمَرَّ طَيْفٍ عَلَى الْأَهْوَالِ طَرَاقِ

فتحة الراء حذو والألف ردف، والقاف روي، وحركتها مجرى، وميله وصل. وضرب مردف موصول وله خروج كقوله:

مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيْسُهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحْدُوْتُهُ لَوْ يُعِيْدُهَا

حركة العين حذو، والياء ردف، والذال روي، وحركتها مجرى، والهاء وصل وحركتها نفاذ، والألف مخروج.

وضرب مجرد لا تأسيس له ولا ردف كقوله:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيْبٍ وَمَنْزَلِيْسِقْطِ اللَّوِي بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

اللام الروي وحركتها المجرى، والياء والوصل.

وضرب مجرد له خروج: لا يكون الخروج إلا بعد وصل كقوله:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ

وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكٍ نَعْلِهِ

اللام روي، وحركتها مجرى، والهاء وصل، وحركتها نفاذ، والياء خروج.

قيل: وأول من قسم القوافي هذا القسم الفراء ثم نقله المبرد إلى مختصره.

الباب الخامس اللين في القوافي

ما يلزمه اللين في القوافي

فمن ذلك ما كانت قافيته من المترادف.

وهو يأتي في تسعة مواضع على قول الخليل: منها ثاني المديد كقوله:

لَا يَغْرَنَّ امْرَأً عَيْشُهُ كُلُّ عَيْشٍ صَائِرٌ لِلزَّوَالِ

وثالث البسيط كقوله:

إِنَّا ذَمَمْنَا عَلَى مَا خَيَّلْتُ سَعَدَ بْنَ زَيْدٍ وَعَمْرًا مِنْ تَمِيمِ

وسابع الكامل كقوله:

جَدْتُ يَكُونُ مَقَامُهُ أَبَدًا بِمُخْتَلَفِ الرِّيَّاحِ

وثاني الرمل كقول زيد الخيل:

يَا بَنِي الصَّيْدَاءِ رُدُّوا فَرَسِي إِنَّمَا يُفَعَلُ هَذَا بِالذَّلِيلِ
عَوِّدُوا مَهْرِي كَمَا عَوَّدْتُهُ دَلَجَ اللَّيْلِ وَإِطَاءَ الْقَتِيلِ

ورابع الرمل كقول الشاعر:

لَانَ حَتَّى لَوْ مَشَى الدُّرُّ عَلَيْهِ كَادَ يُدْمِيهِ

وأول السريع كقوله:

أَزْمَانَ سَلَمَى لَا يَرَى مِثْلَهَا الرَّأ وَوْنَ فِي شَأْمٍ وَلَا فِي عِرَاقِ

والخامس من السريع كقوله:

لَمْ تَعُدْ فِي بُؤْسٍ وَلَا فِي إِقْلَالِ

والثاني من المنسرح كقوله:

صَبْرًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ

والثاني من المتقارب كقوله:

وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ بَائِسَاتِ وَشُعْتِ مَرَاضِيْعٍ مِثْلَ السَّعَالِ

أنشده الخليل هكذا، وأنشده سيبويه وشعثا بالنصب وبالإطلاق أيضاً. لم يجعله مقيداً.

فصل: وقد زاد سعيد بن مسعدة في الطويل وزناً رابعاً يجب أن يكون بعد الثاني في قول الخليل لأنه قد

سقط منه حرف وحركة. والثاني إنما سقط منه حرف ساكن، وهو الياء من مفاعيلين. وإنما سوغ هذا

للأخفش أنه وجد شعوا ينسب إلى امرئ القيس فيه إقواء، فأبي أن يجعل امرئ القيس يقوى، وحمله على ما ذكرت من زيادة ضروب الطويل والشعر:

أَحْظَلُّ لَوْ أَحْسَنْتُمْ وَوَفَيْتُمْ
لَأَثْنَيْتُ خَيْرًا صَادِقًا وَلَأَرْضَانُ
ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى بَقِيَّةُ
وَأَوْجَهَهُم بِيضُ الْمَسَافِرِ غُرَّانُ

قيل أنه وجد وجد في هذه الأبيات إقواء بالرفع وكذلك رآه في قوله الشاعر:

كَأَنَّ عَنيفًا مِنْ مَهَارَةٍ تَعَلَّبِ
بِأَيْدِي الرَّجَالِ الدَّافِينِ ابْنِ عَتَّابِ
وَقَرَّ ابْنُ حَرْبٍ هَارِبًا وَابْنُ عَامِرٍ
وَمَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ تَوُوبَ بِلَا آبِ

ومثل ذلك قول عمرو بن شأى الأسدي:

وَكَأْسٍ كَمُسْتَدْمَى الْغَزَالِ مَزَجْتُهَا
لَأَبْيَضَ عَصَاءِ الْعَوَاذِلِ مِفْضَالُ
كَأَدَمَ لَمْ يُؤْتِرْ بِعَرْنِينِهِ الشَّبَا
وَلَا الْحَبْلُ يُحْسَأُ الْقُرُومُ إِذَا صَالَ

وإذا تجنبت الأقواء بالنصب هذا التجنب دخل في كثرة من الأوزان زيادة.

فصل: ومما يلزمه اللين، كل ضرب نقص عن الضرب الذي قبله بحرف متحرك. فكأنهم جعلوا ما في اللين من المد عوضاً من ذلك الحرف.

وإذا كان حرف اللين واواً أو ياء فاجتناب الفتح قبلها أحسن؛ فيضم ما قبل الواو، ويكسر ما قبل الياء. على أن الفتح قد ورد واستعمل، وقد أباه قوم وقالوا: لا يكون إلا بضم ما قبله. فيلزم اللين على ما تقدم ذكره ثالث الطويل؛ كقوله:

طحا بك قلب في الحسان طرب
بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيْبُ

ضربه فعولن والذي قبله مفاعلن، فوزن فعولن مفاعل ساكنة اللام. فقد سقطت حركة اللام وسقطت النون. فهذا بمقتلة سقوط حرف متحرك. ومن ذلك ثاني البسيط، كقول عبدة بن الطبيب:

هَلْ حَبْلٌ خَوْلَةٌ بَعْدَ الْهَجْرِ مَوْصُولُ لَمْ أَنْتَ عَنْهَا بَعِيدَ الدَّارِ مَشْغُولُ

فذا الضرب فعولن والذي قبله فاعلن في أصل الدائرة. فزنة فعولن فاعل بسكون اللام، وسقط منه قدر حرف متحرك.

ويلزم اللين ثاني الكامل وتاسعه - وفي التاسع خلاف - وثاني الرجز، وقالت السريع - وفيه خلاف - . ومما ورد بغير لين قوله:

مِنْ شَامِخِ عَالٍ إِلَى خَفْضِ
فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ
وَبَزَنِي الدَّهْرُ نِيَابَ الْغِنَى

وخامس الخفيف، وسادس المتقارب وهو:

فَمَا نَقْصَ بِأَتِيكََا

تَجَلَّدَ وَلَا تَبْتَنَسُ

المد واللين في الوصل

النشيد والترنم

الغرض في اختيارهم حروف المد واللين الموصل ما يتأتى فيها من مد الصوت، وإنه يمكن فيها من ذلك ما لا يمكن في غيرها. وشاركت الهاء حروف المد واللين في الوصل لخفائها، ولأنها تبين بها الحركة كما تبين بالألف، فتقول عليه كما تقول أنا ثم يذهبان في الوصل.

قال سعيد بن مسعدة: قد دعا قوما خفاؤها إلى أن قالوا مَرِيئَهُ فضموا الباء لتبين الهاء. وإذا وقفوا عليها قالوا: هذا طلحت بالتاء.

وإذا نطق بالشعر على سبيل الحداء والغناء والترنم، فقد اجمع على إلحاق الألف والواو والياء؛ لأن الترنم يمد فيه الصوت أكثر من مده في النشيد. والمقصود به وبالغناء والحداء والمد. فيقولون:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلِيْبِسِقْطِ اللّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِي

وقال النمر بن تولب:

يَسْرُ الْفَتَى طُوْلَ السَّلَامَةِ وَالْغِنَى فَكَيْفَ تَرَى طُوْلَ السَّلَامَةِ تَفْعَلُ

فصل: فإذا أرادوا النشيد فقد اختلف في الوقف. والأحسن أن تعطى كل حركة حقها. فمنهم من يقف على الروي بالسكون فينشد:

أَقْلِي اللّوْمَ عَادِلُ وَعَتَابُ وَقَوْلِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابُ

وكذلك يفعل في المضموم والمكسور. فإذا أتى في القصيدة المنصوبة ما هو منون من مصدر أو غيره وقفوا بالألف كقوله:

وَوَجَدِ طَوَيْتُ يَكَادُ مِنْهُ وَصَمِيرُ الْقَلْبِ يَلْتَهَبُ التَّهَابَا

ويختارون الوقوف بالألف في الوزن القصير كقوله:

أَعْطَى عَطَاءً حَسَنًا وَرَزَقَا

ومنهم من لا ينون شيئاً، وهم أهل الحجاز، فينشدون القصيدة من أولها إلى آخرها ولا ينون شيئاً على ما مضى في الترتيم.

ومنهم من يعطي كل قافية قسطها فينون المنون ويجري ما ليس منوناً على صلته فينشد:

قَفَا نَبَتْ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ سِقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِنُ

وينشد..... مَنْ جُنُوبٍ وَشَمَائِلِنُ وينشد..... بِرَبِّ الْقَرْنُفَلِنُ ومنهم من يحذف واو الجميع فينشد:

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ جِيرَانَنَا لَمَالٍ ظَعْنُوا لَمْ أَدْرِ بَعْدَ غَدَاةِ الْبَيْنِ مَا صَنَعُ

وينشد أيضاً بقوله:

جَزَيْتُ ابْنَ أَوْفَى بِالْمَدِينَةِ قَرَضَةً وَقُلْتُ لِشَفَاعِ الْمَدِينَةِ أَوْجِفُ

يريد أوجفوا: وهذا أقبح من حذف الصلوات لأن هذه الواو هنا مفيدة معنى. وقد أجرى من حذف الصلوات الياء التي من الأصل، مجرى الياء التي للوصل، فأنشد:

وَلَأَنْتَ تَقْرِي مِمَّا خَلَقْتَ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرُ

يحذف الياء من يفرى وكذلك واو يدعو إذا كانت العين للروي. فإن كانت روي الشعر فلا يجوز حذفها.

ومنهم من يحذف بالإضمار. قال سعيد بن مسعدة: أخبرني من أثق به، أنه سمع من العرب:

وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظٍ إِنَّ

يريد إني.

ومن العرب من ينون ما يجوز فيه التنوين وما لا يجوز فينشد:

أَفَاطِمُ مَهَلًا بَعْضُ هَذَا التَّدَلُّوَانِ كُنْتُ قَدْ أَرَمَعْتُ صَرْمِي فَاجْمَلِنُ

ويحكى أن رؤبة أنشد قصيدته التي أولها:

وَقَائِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْمُخْنَرِقِ

فنون جميع قوافيها.

قال قطرب: حدثني من سمعه ينشدها بالتنوين، قال بعضهم: إنما فعل ذلك لأنه اعتاد التنوين في غيرها.

وقال بعضهم: إنما إن بمعنى نعم. فكأنه أتبع كل بيت نعم على حد التخفيف للهمزة. وهذا أقبح ما

يستعمل في الإنشاد لخروجه عن الوزن، ولأنه لا يستعمل في الكلام المنثور.
وكلما كانت الصلة من الأصل مثل واو يدعو وألف يخشى وياء يرمي كان حذفها أبعد.
وقد أنشد بعضهم قول يزيد بن الحكم الثقفي:

جَمَعْتَ وَفَحْشًا غَيْبَةً وَنَمِيمَةً
ثَلَاثَ خِلَالٍ لَسْتَ عَنْهَا بِمُرْعَوٍ
وأنشد قطرب:

تُكَاشِرُنِي كَرَهَا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ
وَغَيْبِكَ يُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوٍ
يريد دوى. وأنشد أيضاً:

عَدُوُّكَ يَخْشَى صَوْلَتِي أَنْ تَرُومَنِي
وَأَنْتَ عَدُوِّي لَيْسَ ذَلِكَ بِمُسْتَوٍ
يريد بمستو. وهذا قبيح من أجل أنه حذف حرفاً أصلياً.
قال بعض أهل العلم: الأحسن إثبات الياء من قبل أن الواو إذا كانت قبلها فتحة، انقلبت ألفاً. كما يفعل
بها في الترخيم.

الباب السادس عيوب القافية

الإقواء

الإقواء اختلاف الإعراب، مأخوذ من قوى الحبل المختلفة الفتل، مثل أن يأتي الشاعر بالضم مع الكسر أو
بالكسر مع الضم. ولا يكادون يأتون إقواء بالنصب، فإذا وجد هذا فالأجود تسكينه.
وأنشد المبرد:

تُكَلِّفُنِي سَوِيْقَ الْكَرْمِ جَرْمٌ
وَمَا جَرْمٌ وَمَا ذَاكَ السَّوِيْقُ
وَمَا شَرِبُوهُ وَهُوَ لَهُمْ حَلَالٌ
وَلَا قَالُوا بِهِ فِي يَوْمِ سُوْقٍ
فَأَوْلَى تَمَّ أَوْلَى تَمَّ أَوْلَى
ثَلَاثًا يَا ابْنَ عَمْرٍو أَنْ تَذُوقًا
فجمع ثلاث الحركات - وهذا شاذ.

وقد مضى الكسر مع الضم كقول الحارث بن حلزة:

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ
رُبَّ تَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ النَّوَاءُ
ثم قال:

مَلَكَ الْحَارِثُ بُنَ مَاءِ السَّمَاءِ

وقال النابغة:

عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ

أَمِنْ آلِ مِيَّةٍ رَائِحٌ أَمْ مُفْتَدِي

ويروى أنه قال فيها:

وَبِذَاكَ خَبَّرْنَا الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ

زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا

وأنه قال أيضاً فيها:

غَنَمٌ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعَقِّدُ

فقيل له في ذلك فلم يعرفه حتى أحضرت له قينة فغنت به ومدت صوتها فغيره.

وقال آخر:

بِشَاتِهِمْ وَأَنْتَ لَهُمْ رَبِيبٌ

أَكَلْتَ شُوَيْهَةً وَفَجَعْتَ قَوْمًا

فَمَنْ أَنْبَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبٌ

غُذِيَتْ بِدِرِّهَا وَرَوِيَتْ مِنْهَا

فَلَيْسَ بِنَافِعٍ أَدَبُ الْأَدِيبِ

إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طِبَاعَ سَوْءٍ

وهذا غلط من العرب لا يجعل مثلاً ولا يقاس عليه. ويجوز أن يكون الوقوف على أواخر الأبيات يسوغ ذلك لهم. وأهم يرون كل بيت قائماً بنفسه، كما رواه العجير السلولي في قوله:

بِعَاقِبَةِ وَالْعَاقِبَاتُ تَدُورُ

فَقَالَ لِخَلِيهِ ارْحَلَا الرَّحْلَ إِنِّي

لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ الْمِلَاطِ يَجِيبُ

فَبَيْنَاهُ يَشْرَى رِحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ

قيل إن قائلة أنشده كذلك فنهى عنه فلم ينته.

وذهب قوم إلى أن الإقواء هو الإقعاد الذي تقدم ذكره. وذهب آخرون إلى أنه الإكفاء.

الإكفاء

وأصل الإكفاء القلب أو المخالفة، قال ذو الرمة:

إِذَا مَا عَلَوْهَا، مَكْفَأٌ غَيْرَ سَاجِعٍ

وَدَوِيَّةٌ قَفْرٍ تَرَى وَجْهَ رَكْبِهَا

الساجع: المتتابع، والإكفاء في الشعر اختلاف الروي، ومن العرب من جعله الفساد في آخر البيت من غير أن يحده بشيء. وأنشد ابن مسعدة:

وَلَمَّا أَصَابَنِي مِنَ الدَّهْرِ بِنُوقِشْغُلْتُ، وَالْهَى النَّاسَ عَنِّي شُنُونُهُ

إِذَا الْفَارِغُ الْمَكْفِيُّ مِنْهُمْ دَعَوْتُهُابِرَّ، وَكَانَتْ دَعْوَةً يَسْتَدِيمُهَا

فَأَتَى بِالْمِيمِ مَعَ النُّونِ لِتَقَارِبِ مَخْرَجِيهِمَا. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْعَجِيرِ السُّلُولِيِّ:

أَلَا قَدْ أَرَى إِنْ لَمْ تَسْكُنْ أُمَّ مَالِكٍ
بِمَلِكِ بَدَى إِنْ الْبَقَاءَ قَلِيلٌ

رَأَى مِنْ رَفِيقِهِ جَفَاءً وَبَيْعَةً
فَقَالَ لَخَلِيهِ ارْحَلَا الرَّحْلَ إِنِّي
فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ
إِذَا قَامَ بَيْنَتَاغُ الْقِلَاصِ ذَمِيمٌ
بِمُهْلِكَةِ وَالْعَاقِبَاتِ تَدُورُ
لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ

وقال رؤبة بن العجاج:

فُبِّحْتُ مِنْ سَالِفَةٍ وَمِنْ صُدُغٍ
كَأَنَّهَا كُشِيَةٌ ضَبَّ فِي صُقُعٍ

جمع بين العين والغين، وقال آخر:

بَنَاتٌ وَطَاءٌ عَلَى خَدِّ اللَّيْلِ
لَا يَشْتَكِينُ عَمَلًا مَا أَنْفَقِينَ
لِإِمٍّ مَنْ لَمْ يَتَّخِذْهُنَّ الْوَبْلُ
مَا دَامَ مُخٌّ فِي سُلَامَى أَوْ عَيْنِ

وقال آخر:

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِذِي أَقْبَاضِ
إِلَّا الْأَثَافِيَّ عَلَى وَجَادِ
لَمْ يَبْقَ فِيهَا دِيمُ الرَّدَادِ

وقال آخر:

إِنْ يَأْتِيَنِي لِصٌّ فَإِنِّي لِصٌّ
سَوْقِي حُدَاءٌ وَسَفِيرِي بَسٌّ
أَطْلَسُ مِثْلُ الذَّيْبِ إِذْ يَعْغَسُ

وقالت امرأة من العرب:

فَلَيْتَ سِمَاكِيَّا تَحَارُ رَبَابُهُ
يُقَادُ إِلَى أَهْلِ الْغَضَى بِزِمَامِ

وقال آخر:

إِذَا نَزَلْتُ فَاجْعَلَانِي وَسَطًا

العنْد: جمع عنود، وهي الناقة الصعبة. وقال آخر:

جَارِيَةٌ مِنْ ضَرَّةَ بِنِ أَدٍّ
كَأَنَّ تَحْتَ دِرْعِهَا الْمُنْعَطُ

شَطَاً أَمْرًا فَوْفَهُ بِشَطًّا

لَمْ يَنْزُرْ فِي الْبَطْنِ وَلَمْ يَنْحَطِّ

وهذا كله إكفاء. وذهب قطرب إلى أن الإكفاء تغير الحركات، وإلى أن الإقواء تغير حرف الروي.

البدل

وهو تغير حرف الروي على غير ما تقدم ذكره في الإكفاء. ومن ذلك قوله:

يَا قَبَّحَ اللَّهُ بَنِي السَّعَلَاتِ

عَمْرًا وَفَانُوسًا شِرَارَ النَّاتِ

لَيْسُوا بِأَخْيَارٍ وَلَا أَكْيَاتِ

يريد الناس وأكياس، فأبدل حرف الروي لضرورته إلى ذلك.

وهذا أقبح من الإكفاء وأقل.

قيل سبب هذا الشعر أن عمرو بن يربوع بن حنظلة من بني تميم تزوج السعلاة. فقال له أهلها: إنك لا تزال معها بخير ما لم تر برقًا. قال: فجعل عمرو إذا لمع البرق ستر وجهها عنه. ثم إنهما رأته ذات ليلة، فقعدت على بكر وقالت:

أَمْسِكْ بَنِيكَ عَمْرُو إِنْ بَرَّقَ

بَرَقَ عَلَيَّ أَرْضِ السَّعَالِي أَلِقُ

ويروى لعمرو في ذلك:

رَأَى بَرَقًا فَأَوْضَعَ فَوْقَ بَكْرٍ

فَلَا بِكَ مَا أَغَامَ وَلَا أَسَالَا

قوله: فلا بك مثل قوله: لا والله، ولا البيت. فقال بعضهم الأبيات المتقدمة يهجو أولاد عرو.

ومن البدل قول الشاعر:

إِذَا مَا الْمَرْءُ صُمَّ فَلَمْ يُكَلِّمْ

وَأَعْيَا سَمَعَهُ إِلَّا نَدَابَا

وَلَا عَبَّ بِالْعَنْشِيِّ بَنِي بَنِيهِ

كَفَعَلَ الْهَرَّ يَلْتَمِسُ الْعَطَايَا

فَلَا تَطْفُرُ يَدَاهُ وَلَا يَوُوبِنُ

وَلَا يُعْطَى مِنَ الْمَرَضِ الشَّفَايَا

فَذَاكَ الْهَمُّ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ

سِوَى الْمَوْتِ الْمُنْطَقِ بِالْمَنَايَا

فقلب الهمزات الثلاث ياءات لإتيانه بالمنايا، وهذا مما يجب ألا يلتفت إليه، ولا يقاس عليه.

الإيطاء وهو إعادة القافية في الشعر، مأخوذ من قولك: وطئت الشيء، وأوطأته سواي.

وهذا عائد إلى الموافقة قيل: ومنه قوله تعالى: ".....ليواطعوا عدة ما حرم الله". أي ليوافقوا.

وأقبح الإيطاء ما تقارب مثل أن يكون البيتان متجاورين أو بينهما بيت أو اثنان أو ثلاثة على قدر ذلك.

ومن أقبحه ما ينشد لابن مقبل:

نَازَعَتْ أَلْبَابُهَا لُبِّي بِمُخْتَصِرٍ

مِنَ الْأَحَادِيثِ حَتَّى زِدْتُهُ لِينًا

ثم قال:

مِثْلَ اهْتِرَازِ رُدَيْنِي تَعَاوَرَهُ

أَيْدِي التَّجَارِ فَرَادُوا مَتْنَهُ لِينًا

فإن اتفق اللفظ واختلف المعنى لم يكن ذلك إيطاء كما أنشد المراد:

أَسْلَمْتَنِي يَا جَعْفَرُ بَنَ أَبِي الْفَضْلِ مَنْ لِي إِذَا أَسْلَمْتَنِي يَا أبا الْفَضْلِ

فَقَلِّ لِأَبِي الْعَبَّاسِ إِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا فَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ
وَلَا تَجْحَدُونِي وَدَّ عِشْرِينَ حِجَّةً وَمَا نَفْسِدُوا مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنَ الْفَضْلِ

والأول كنية والثاني من العفو والثالث من الإعطاء والتفضل.

فإن جاء في بيت رجل وفي بيت آخر الرجل بالألف واللام، لم يكن ذلك عندهم إيطاء. وكذلك إذا قلت: يضرب، وأنت تضرب، وأنا أضرب، لم يكن ذلك إيطاء، لاختلاف المعاني. وقال بعضهم: هو الإيطاء.

وكذلك إذا قلت: ذهب من الذهب، ثم قلت: ذهب تريد المصوغ، لم يكن إيطاء، فإن قلت زوج تريد المرأة، ثم قلت: زوج تريد الرجل، فذلك إيطاء، لأنه يقال لهما: زوجان. قال تعالى: "..... من كل زوجين اثنين". فإن أردت بالزوج النمط، لم يكن ذلك إيطاء.

وكذا إذا قلت العين تريد عين النظر، ثم قلت العين تريد عين السحاب والعين تريد عين الماء، والعين مصدر عانه يعينه إذا أصابه بعينه، والعين الذهب، وما بالدار من عين أي أحد، وعين الركبة: النقرة عن تمين الرضفة وشمالها، لم يكن في شيء من ذلك إيطاء.

فإن قال: شيء يريد غير الأول كان ذلك إيطاء، لأن قوله: شيء لا يختص بهذا دون هذا.

فإن قلت: كذا ثم قلت: بدا ولذا فقد قيل: إنه ليس بإيطاء.

وكذلك إن قلت: رمى بك ومضى بك قال قوم: مضى بك اسم مضمر والمضمر مع ما قبله بمثلة شيء واحد فليس بإيطاء.

وذا اسم ظاهر، فإذا قلت: بدا ولذا كان إيطاء، وقال قوم: إن جعلت الروي الألف من ذا فهو إيطاء، لأن اللام والباء مع ذا قد صارتا كالشيء الواحد.

فإن قلت: عرس تريد المرأة، وعرس تريد الرجل، فهو إبطاء كالزوج والزوج تقول العرب: هذا عرس، وهذه عرس: قال العجاج:

أَكْرَمُ عَرَسٍ جَبِيلاً وَعَرَسٍ

يريد: أكرم رجل وامرأة جبلاً.

فإن قلت: غلامى وغلام منكرًا، لم يكن إبطاء.

قيل: وقدم رجل لأعرابي لونا من الطعام مرتين فقال: أوطأت في طعامك.

فصل: قال خلف الأحمر: لو قلت برجل ولرجل لم يكن إبطاء لاختلاف المعاني، ويقول: إن قول الراجز:

ثُمَّ أَدِمْتُ الْخُبْزَ أَدْمًا صَالِحًا

إِنَّكَ لَوْ أَكَلْتَ خُبْزًا صَالِحًا

لَقَتُ بِالْقَوْمِ سَيَاقًا صَالِحًا

ليس بإبطاء لاختلاف ما قبله.

وقاسه على الياء والكاف في المضمر، إذا قلت: عندي، ومنى، ولك، بك بينهما فرق لأن المضمر مع ما

قبله كالشيء الواحد وليس كذلك الظاهر ومما أوطئ فيه باتفاق اللفظ والمعنى قول الراجز:

عَلَى قُلُوبٍ صَعْبَةٍ، كَمَا تَرَى

يَارَبَّ إِنِّي رَجُلٌ، كَمَا تَرَى

أَخَافُ أَنْ تَصْرَعَنِي كَمَا تَرَى

قال بعض أصحاب القوافي: فخذ بتحريك الخاء مع فخذ بإسكانها إبطاء.

وفي هذا نظر من جهة العروض، لأن فعلن لا يجتمعان إلا في رابع السريع المقيد، وفخذ وفخذ وعنق وعنق

إنما يماثلهما فعلن وفعلن بالتونين الذي فيهما.

وإذا نونا لم يلزم هناك تقييد. والشعر المطلق لا يجوز أن يكون قبل رويه تارة ساكن وتارة متحرك، إلا أن

يكون من قال هذا أراد شعراً على ووي الكاف كاف الخطاب، فخذك بكسر الخاء، ثم يقول فخذك

بسكوها.

وقد روى في بعض ضروب الكامل شعر مبني على فعلن وفعل. وهذا شاذ.

السناد

وأصله الاختلاف. يقال: خرج القسم متساندين. أي: لم يتبعوا رئيساً واحداً. ويقال: إن قريشاً خرجوا

يوم الفجار متساندين. وقد ذكرت العرب السناد. وقال ذو الرمة:

أُجِيبُهُ الْمُسَانِدَ وَالْمَحَالَا

وَشِعْرٍ قَدْ سَهَرْتُ لَهُ كَرِيمٍ

وقال جرير بن عطية:

بِأَفْوَاهِ الرَّوَاةِ وَلَا سَنَادًا

فَلَا إِقْوَاءَ إِذْ مَرَسَ الْقَوَافِي

وقال عددي بن زيد بن الرقاع العاملي:

حَتَّى أَقْوَمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا

وَقَصِيدَةَ قَدْ بَتَّ أَجْمَعُ شَمَلَهَا

وقال أبو حزام العكلي:

بِغَيْرِ السَّنَادِ وَلَا الْمَكْفُوءَةِ

قَوَافٍ عَلَى الْهَاءِ سَحْجِيَّةٍ

والسناد على ضروب، جميعها قبل الروي، فمن ذلك ما ليس بمكروه، وهو تعاقب الواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها في ردف القصيدة الواحدة، وذلك مجمع على استعماله، ولا يحاط بكثرته. ومنه ما هو مكروه، وذلك ينقسم أقساماً.

فمنه ما هو في التأسيس، كقول العجاج:

بِسَمْسِمٍ أَوْ عَن يَمِينِ سَمْسِمٍ

يَا دَارَ سَلْمَى يَا لَسَلْمَى ثُمَّ اسَلْمَى

ثم قال:

فَخَنَدِفٌ هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمِ

وكان رؤبة يعيب ذلك على أبيه، وقيل كأن الهمزة من لغة العجاج. فإن صح ذلك، فإن الهمزة في العالم يخرج من السناد. وكذلك الكلام في قوله فيها:

مُكْرَمٌ لِلْأَنْبِيَاءِ خَاتِمٌ

إما أن يهمز فلا يكون سناداً، أو بترك الهمزة فيكونه، والهمزة بتأتي في خاتم إذا فتحت التاء، فإن كسرت فلا يهمز؛ لأنه يصير فاعلاً من الختم.

ومن السناد اختلاف حركات الدخيل كقول ورقاء بن زهير:

فَأَقْبَلْتُ أُسْعَى كَالْعَجُولِ أَبَادِرُ

دَعَانِي زُهَيْرٌ تَحْتَ كُلِّ خَالِدٍ

وَيَمْنَعُهُ مَنِّي الْحَدِيدُ الْمُظَاهِرُ

فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرِبُ خَالِدًا

ففتح الهاء مع كسر الدال. ولو كانت مع الكسرة ضمة لكان أقل من العيب.

ومن السناد أن يجيء حذو مفتوح وحذو غير مفتوح. نحو قوله:

فَامَلَيْتِي وَجَهَكَ الْمَلِيحَ خُمُوشًا

عَبْدُ شَمْسٍ أَبِي كُنْتُ غَضْبِي

نَحْنُ كُنَّا سُكَّانَهَا مِنْ قُرَيْشٍ

وَبِنَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا

وقال عبيد بن الأبرص:

فَإِنْ يَكُ فَاتَنِي وَمَضَى شَبَابِي

وَأَصْبَحَ عَارِضِي مِثْلَ اللَّجِينِ

فَقَدْ أَلَجَ الْخِبَاءَ عَلَى عَذَارَى

كَأَنَّ عِيُونَهُنَّ عِيُونُ عَيْنِ

ومن السناد أن يجيء ردف مضموله ما قبله مع غير ردف، كقوله:

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا

فَأَرْسِلْ لِنَبِيٍّ وَلَا تَوْصِهِ

وَإِنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ التَّوَى

فَشَاوِرْ حَكِيمًا وَلَا تَعْصِهِ

قالوا وفي توصه ردف محض وفي الناس من يهزم الواو وإذا انضم ما قبلها فعلى ذلك لا يكون سناداً. ومن السناد ورد ياء مشددة مفتوح ما قبلها مع ياء مشددة مكسور ما قبلها. كقول عمرو بن الأظنابة:

أَبْلَغَ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمِ الرَّعْدِيدِ وَالنَّاذِرِ النَّذُورَ عَلِيًّا

إِنَّمَا يُقْتَلُ النَّيَامُ وَلَا يُقْتَلُ مَنْ كَانَ ذَا سِلَاحٍ كَمِيًّا

وذلك بمثلة قول الشاعر:

فَبَايَعَ أَمْرَهُمْ وَعَصَى قَصِيرًا

يَكَادُ يَقُولُ لَوْ نَفَعَ الْيَقِينَا

وَقَدَّمَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ

وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينَا

وبمثلة ما تقدم لعبد بن الأبرص.

ومن السناد اختلاف التوجيه في الشعر المقيد، وهو أن يجيء ما قبله الروي تارة مضموماً وتارة مفتوحاً وتارة مكسوراً، وبعضهم لا يرى ذلك سناداً. فأما الشعر المطلق، فاختلاف ذلك ليس فيه بعيب.

الإجازة

وقد اختلف فيها، فمنهم من يجعلها للاختلاف في التوجيه بالفتح كقول امرئ القيس:

وَالْيَوْمَ قَرَّ

ومنهم من يجعلها اختلاف الروي مثل قوله:

قُبِّحَتْ مِنْ سَالِفَةٍ وَمِنْ صُدُغٍ

كَأَنَّهَا كُشِيَّةٌ ضَبٌّ فِي صُقْعٍ

ومنهم من يجعلها ورود عروضين في قصيدة. كقول عبيد:

مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ

وَسَأَلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ

ثم قال فيها:

سَاعِدْ بِأَرْضٍ إِذَا كُنْتَ بِهَا

وَلَا تَقُلْ إِنِّي غَرِيبٌ

فعروض الأول فعولن وعروض الثاني مفتعلن.

ويقال: إن اشتقاق الإجازة من أجزت الحبل إذا خالفت بين قواه.

ومنهم من يقول: الإجازة غير معجمة. ويذهب إلى تغيير الروي. واشتقاقها من أجزت بده إذا. ذكر

الإجازة معجمة ابن دريد، قال إنها عيب.

التضمين

وهو تمام وزن البيت قبل تمام المعنى، كقول النابغة:

هُمْ وَرَدُّوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ

وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظٍ، إِنِّي

شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ

بِخَيْرِهِمْ بِنُصْحِ الصِّدْرِ مِنِّي

وبعض الناس يسمي هذا إغراماً، ويجعل التضمين مثل قوله:

أَمْوِيَّ إِنِّي يُصْبِحُ صَدَايَ بِقَفْرِ قَمِينِ الْأَرْضِ لَا مَاءَ لَدَيَّ وَلَا خَمْرُ

تَرَى أَنَّ مَا أُمَّلْتُ لَمْ يَكُ ضَرَّتِيوَأَنَّ يَدِي مِمَّا عَلِقْتُ بِهِ صِفْرُ

ومعنى التضمين والإغراء عائد إلى شيء واحد في اللغة، كما تقول: ضمنتك كذا وأغرمتك إياه. ويكون

معناها ألزمتك إياه. فكأن الشاعر قد ألزم البيت الثاني في إتمام الحال ومن ذلك سمي الغريم غريماً لملازمته.

قال تعالى: "إن عذابها كان غراماً".

المعاظلة

ومن العيوب المعاظلة، وأصله التعاظل. يقال: تعاظلت الجرادتان، وعاظل الرجل المرأة. ومنه قول بعض

الصحابة: بارك الله في زهير؛ كان لا يعاظل كلامه وذهب قوم إلى أنه كالتضمين.

قال أبو الفرج قدامه: هو قبيح الاستعارة. كقول أوس بن حجر:

وَدَاَتِ هَدْمِ عَارٍ نَوَاشِرُهَا

تَصَمَّتْ بِالْمَسَاءِ تَوَلِّبًا جَدْعًا

فاستعار التولب - وهو ولد الحمار للصبي.

التحريد

ومن العيوب التحريد والتحريد الميل. ومنه قول جرير:

لا يَسْتَحِيرُ وَلَا يَحُلُّ حَرِيداً

نَبْنِي عَلَى سَنَنِ الْعَدُوِّ بِيُوتَنَا

أي لا يميل عن الطريق.

ولم يجد بشيء. وقد ذكره النابغة، فقال:

فِيهِ سِنَادٌ وَإِقْوَاءٌ وَتَحْرِيدٌ

وَعَثُ الرِّوَايَةِ بَادِي الْعَيْبِ مُنْتَكَبٌ

وكان الخليل يرتب الشعر ترتيب بيت الشعر، فسمي الإقواء. وهو اختلاف في الإعراب - أقوى الفاتل الحبل به جاءت قوة منه تخالف سائر القوى - وسمي السناد سناداً من مساندة بيت إلى بيت إذا كان كل واحد منهما يلقي على صاحبه. وسمي الإكفاء وهو ميل نون مع ميم من فساد كقوة البيت وهي الشقة التي في آخره والإبطاء من طرح بيت على بيت وأصله أن يواطئ شيء شيئاً وقد مضى ذكره.

الفهرس

2	الباب الاول.....
6	الباب الثاني وزن الشعر وما يلحقه.....
6	ما يلحق آخر الشطر.....
6	التقفية والتصريع.....
6	والإقعاد، والتخميع، والوقف.....
9	ما يلحق آخر الشطر.....
11	الباب الثالث لوازم القافية.....
11	الكلام في الحروف اللازمة.....
11	الروي.....
15	التأسيس.....
18	الردف.....
19	الصلة , وتسمى الوصل أيضاً.....
22	الخروج.....
23	الحركات اللازمة.....
23	الرس.....
23	الإشباع.....
24	المجرى.....
24	الحدو.....
25	التوجيه.....
25	النفاذ.....
26	الباب الرابع عدد القوافي.....
27	الباب الخامس اللين في القوافي.....
28	ما يلزمه اللين في القوافي.....
30	المد واللين في الوصل.....

30	النشيد والترنم
32	الباب السادس عيوب القافية
32	الإقواء
33	الإكفاء
35	البدل
37	السناد
39	الإجازة
40	التضمين
40	المعاظلة
41	التحريد
42	الفهرس

To PDF: www.al-mostafa.com